

تفسير البحر المحيط

@ 301 @ فبهت بكسر الهاء . .

{ وَاللَّاهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } إخبار من الله تعالى بأن الظالم لا يهديه ، وظاهره العموم ، والمراد هداية خاصة ، أو ظالمون مخصوصون ، فما ذكر في الهداية الخاصة أنه لا يرشدكم في حجتهم ، وقيل : لا يهديهم إلى الثواب في الآخرة ولا إلى الجنة ، وقيل : لا يلفظ بهم ولا يلهم ولا يوفق ، وخص الظالمون بمن يوافق ظالماً أي كافراً . .
والذي يظهر أن هذا إخبار من الله بأن من حكم عليه ، وقضى بأن يكون ظالماً أي كافراً
وقدّر أن لا يسلم ، فإنه لا يمكن أن يقع هداية من الله له { فَمَنْ } * حَقَّقَتْ عَلَيْهِ *
كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ } . .

ومناسبة هذه الآية بهذا الإخبار ظاهرة ، لأنه ذكر حال مدّع شركة الله في الإحياء والإماتة ،
مموّهاً بما فعله أنه إحياء وإماتة ، ولا أحد أظلم ممن يدعي ذلك ، فأخبر الله تعالى : أن
من كان بهذه الصفة من الظلم لا يهديه الله إلى اتباع الحق ، ومثل هذا محتوم له عدم
الهداية ، محتوم له بالكفر ، لأن مثل هذه الدعوى ليست مما يلتبس على مدّعيها ، بل ذلك
من باب الزندقة والفلسفة والسفسطة ، فدّعيها إنما هو مكابر مخالف للعقل ، وقد منع الله
هذا الكافر أن يدعي أنه هو الذي يأتي بالشمس من المشرق إذ من كابر في ادّعاء الإحياء
والإماتة قد يكابر في ذلك ويدعيه . وهل المسألتان إلاّ سواء في دعوى ما لا يمكن لبشر ؟
ولكنّ الله تعالى جعله بهوتاً دهشاً متحيراً منقطعاً إكراماً لنبيه إبراهيم ، وإظهاراً
لدينه . .

وقيل : إنما لم يدع أنه هو الذي يأتي بها من المشرق ، لظهور كذبه لأهل مملكته ، إذ
يعلمون أنه محدث ، والشمس كانت تطلع من المشرق قبل حدوثه ، ولم يقل : أنا آتي بها من
المغرب لعلمه بعجزه ، فلما رأى أنه لا مخلص له سكت وانقطع . .

{ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ } قرأ الجمهور : أو ، ساكنة الواو ، قيل :
ومعناها التفصيل ، وقيل : التخيير في التعجب من حال من ينشأ منهما . .

وقرأ أبو سفيان بن حسين : أو ، كالذي ، بفتح الواو ، وهي حرف عطف دخل عليها ألف
التقرير ، والتقدير : وأرأيت مثل الذي ؛ ومن قرأ : أو ، بحرف العطف فجمهور المفسرين
أنه معطوف على قوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ } على المعنى ، إذ معنى :
ألم تر إلى الذي ؟ أرأيت كالذي حاج ؟ فعطف قوله : أو كالذي مر ، على هذا المعنى ،
والعطف على المعنى موجود في لسان العرب قال الشاعر : % (تقي نقي لم يكثر غنيمة % .

بنهكة ذي قربى ولا بحقلّد .
%)

المعنى في قوله : لم يكثر : ليس بمكثر : ولذلك راعى هذا المعنى فعطف عليه قوله : ولا بحقلّد وقال آخر : % (أجدّك لن ترى بثعيلبات % .
أولاء بيدااء ناحية ذمولا .
(% % (ولا متدارك والليل طفل % .
ببعض نواشع الوادي حمولا .
%)

المعنى : أجدّك لست برآء ، ولما راعى هذا المعنى عطف عليه قوله : ولا متدارك ، والعطف على المعنى نصوا على أنه لا ينقاس . .
وقال الزمخشري ، أو كالذي : معناه أورايت مثل الذي ؟ فحذف لدلالة : ألم تر ؟ عليه لأنّ كليهما كلمة تعجيب . انتهى . هو تخريج حسن ، لأن إضمار الفعل لدلالة المعنى عليه أسهل من العطف على مراعاة المعنى ، وقد جوّز الزمخشري الوجه الأولى . .
وقيل : الكاف زائدة ، فيكون : الذي ، قد عطف على : الذي ، التقدير : ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم ؟ أو الذي مرّ على قرية ؟ قيل : كما زيدت في قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ * الْعَلِيمُ } وفي قوله الراجز .